الفصل الخامس

خصومه وأصدقاؤه

لا يخامرني خجل أن أسجل هنا مآخذ حساده عليه ، ومناقب المعجبين به إنصافا وأمانة كما يلي :

أولا : اتّهمه أعداؤه بالتحيّز إلى الزعيم أحمد سردونا عام ١٩٥١م ، وإلى الرئيس عثمان بن علي شغري عام ١٩٧٩م ، حين انتصر لهما في الحملات الانتخابية حتى فازا ، وحجّته أنهما يمثّلان الحزب الإسلامي بين الفئات المتناحرة الحاقدة على هذا الدين ، كما هاجموه على مساندة الرئيس « بخاري »و« إدأبَنْ » أيام حكمهما لقيامهما بالقيم الإسلامية في العدل والإنصاف ، وتكالب عليه الآخرون بدعوى التعصّب لقبيلة يوربا على ما ورد في كتاب « الإسلام اليوم وغدا » ، فأجاب عنه المرحوم عبد القادر عبّاس :

« أن الحكم على ناحية من تراث أمثال العلامة نوع من العشوائية ، وأنّه يستوجب استيعاب نواحٍ كثيرة من آثار المتعدّدة »[1]

وهذه الملاحظة وجيهة إذ يتسم العلامة بالتعادلية في كثير من مواقفه ، فقد عقد كتابه « الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي » في أوّل الأمر لبيان أمجاد الإسلام بالتدرّج ، فبدأ بالشرق ، ثم شمال أفريقيا فغربها حتى نيجيريا وشعوبها ، وإذا جاء في الكتاب « الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا » ما يدلّ على مناقب يوربا ، وبيان أمجادها ، فقد ذكر في كتب أخرى مثالبها[2].

---

(1) قام بهذا التعليق قبيل وفاته بمركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو.

(2) انظر : الإسلام في نيجيريا ، ص : ١٦٨ ، وموجز تاريخ نيجيريا ، ص : ١٢٧ .

ثانيا : وما لاحظوا عليه من الاستبداد ، فإنّ واقع الأمر يفسّره بعزيمة ماضية للبت في مضايق الأمرر ، لأنّ إطلاق عنان المشورة بين عامة الناس قد يؤدي إلى الفوضى ، والاضطراب ، وتنكيث القوى .

ثالثاً : قالوا : إنّه متكبّر ، وأجاب عن نفسه بقول القائل :

ففي الناس من عدّ التواضع ذلّة وعدّ اعتزاز النفس من جهله كبرا

رابعاً : وصفه بعض تلامذته بأنّه كان فظّا غليظا ، فأجاب عن نفسه : « لو كنتُ فظاً غليظاً كما تقولون ، لما اقترب منّي أحدٌ منكم ليتعلّم »[1].

وأخيراً : أخذوا عليه سرعة الحكم ، وعدم الدقّة في الأحكام التاريخية ، كما لاحظوا عليه تدهور الأسلوب ، وتقاصره في أواخر عمره[2].

تلك جملة مآخذ لوحظت عليه كما قد قيلت وستقال على أمثاله قصدا أو غير قصد ، وجلّ الله من لا يؤاخذ بالجريرة .

أما المعجبون ، فقد أبدوا انطباعات وعواطف تحمل صورا زاهية من بدائع النعوت ، ويدور جلّها حول مجده الأدبي ، وعبقريته العلميّة ، وندرته الفنيّة لنصر الإسلام وقضاياه ، ومن ذلك قول الشيخ كمال الدين الأدبي :

هو الوحيد فمن يعش في دهره لم يلقه فكأنّه لم يولد[3]

وفيما وصفه محمد الطاهر العقل أحد علماء مكّة المكرّمة :

« الحظّ جمعني بشيخ ماهر بحر خضم من بني الأخيار

---

(1) الغماوي عبد الوهاب زبير ، آراء الإلوري في العلوم والفنون ، مطبعة دار التضامن ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص : ٣٢.

(2) تكررت تلكما الملاحظتان من قبل البروفيسور المرحوم علي نائبي سويد ، والأستاذ الدكتور محمد أحمد كاني السوداني خلال بقائه في نيجيريا.

(3) حدث ذلك في مواطن عدّة ، ومنها حلقات المولد النبوي بقصر إمارة إلورن عام ١٩٦٩م ، وعند مناسبة العقد الثاني للمركز عام ١٩٧٢م ، وعند المصالحة الإسلامية.

فخـــر الشـــباب درايـــة وروايـــة في قطـــر ســـودان بـــلا إنكـــار
أعجوبـــة في دهـــره لم أجتمـــع بمعلـــم يدنيـــه مـــن أقطـــار»[1]

واستخلص بعضهم جهوده فعدّها موطنا من مواطن الجهاد في سبيل الله «فكان ذلك خير دليل على صدق جهاده وعلوّ همّته، واستنارة بصيرته بنور الله، وقدّرتُ ـ وأنا المكابد الملتظى بنار الأعباء والأعداء ـ أيَّ عبء يحمل، وأي فراغ يسدّ»[2].

ولا يتردّد بعضهم أن يجعله في زمرة المصلحين الذين يحيون الناس بعلومهم: «فلا أراه إلاّ كمن أحيا أمواتا، وأنعش عظاما رفاتا، فهل فوق ما فعل يوجد شيء يفتخر به علم الإسلام في هذه الأقطار؟، فالمولى يجازيه جزاء المحسنين، ويكتب عمله في سجل المقرّبين المرقوم في عليين»[3].

واعتمدته حكومات ودول عربية من قبل سفاراتها موطن ثقة، واعتزاز كما ورد فيما يلي: «اطمأنّت حكومة الجمهورية العربية المتّحدة إلى جدوى هذا العمل المبارك، فلم تتردّد في ترجمة ثقتها بالمركز إلى عمل لا يزال حتى الآن دون المدى الذي يمكن أن تذهب إليه مع مرور الوقت وازدياد الثقة»[4]. ويثني عليه غيرها لما يسود أنشطته من صحّة العزم وسلامة الأداء: «وقد أعجبت كثيراً بالجهود التي يبذلها الشيخ آدم عبد الله الإلوري وبالروح الإسلامية الصحيحة التي يتحلّى بها»[5].

---

(1) تقريظا على كتاب الدين النصيحة، ص: ٣.
(2) بهاء الدين الأميري، تقريظه على الإسلام في نيجيريا، ص: ٦.
(3) الشيخ مالم ناصر الكبري، المرجع السابق، ص: ٨.
(4) عثمان نوري سفير الجمهورية العربية الليبية لدى نيجيريا، التقرير الرابع، مطبعة عطايا بباب الخلق، القاهرة، مصر، ١٩٦٦م، ص: ١٤.
(5) علي عبد الله صقير، سفير السعودية، الإسلام في نيجيريا، ص: ٢٧.

ومن هذا الشعور الطيّب ما يلي :

« وقد شعرت دائماً بالدور الكبير الذي يقوم به المعهد لنشر اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف »[1].

ومنهم من يرفع مساعيه إلى صفوف الكفاح والجهاد :

« فقد كافح الشيخ الفاضل في إيمان ، وثقة ، وشعور بالواجب ، واطمئنان المؤمن الصادق ، حتّى وفّقه الله إلى إقامة هذا المركز يتلى فيه كتبه ، وتدرس شريعته ، ويكون مركز إشعاع الإسلام وتعاليمه السامية لجيل جديد في أفريقيا الغربية »[2].

وعلى شاكلة ذلك من الإعجاب والتقدير قول أحدهم :

« إنّ مركز التعليم العربي بأجيجي في لاجوس بنشاطه المتواصل منذ سنوات مضت لخدمة الملّة السمحاء ولغة القرآن الكريم في هذا الجيل الأفريقي الشقيق قد أثبت أنّه إحدى الدعامات الكبيرة التي يرجع إليها الفضل الجزيل في خلق طبقة من أبناء هذه الأمّة من حاملي الدعوة الإسلامية السامية وثقافتها الدينية »[3].

ويركز بعضهم على حسن براعته في التأليف والإبداع سواء من جانب الفكرة ، أو الأسلوب على نحو ما يأتي :

« لآدم عبد الله أهدي تحيتي ... مع النسيم الساري بحكم المحبة

إمام له بين الدعاة مزية ... وفضل على أخلاقه النبوية

قضى دهره في نشر دين محمّد ... بأفريقيا رغم الظروف الملمة

تآليفه تبدي كوامن روحه ... بما قد تغذى في العلوم السنيّة

---

(1) كامل الشريف ، سفير الأردن لإسلام في نيجيريا ، ص:٣٩.

(2) محمد السعدي ، سفير المغرب لدى نيجيريا ، ص: ٣١.

(3) عبدالستار التلي ، سفير ليبيا لدى نيجيريا ، ص: ٣٢.

ويصفه الآخرون بسداد آرائه وصواب أفكاره :

« هذا هو الشيخ آدم عبد الله الإلوري عالم من علماء نيجيريا العاملين المجتهدين في خدمة دين الإسلام ، وله آراء صالحة في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية »[1].

بينما يجمع بعضهم على جودة فكرته وأسلوبه :

« وإن قارئه ليخرج بفكرة واضحة ، يميز بها بين الإسلام وما يتفق معه من عادات ، والجاهلية وما يتصل بها من تقاليد سواء في ذلك الجاهلية القديمة والحديثة ، وهو إلى ذلك منهجي في بحثه ، عربي فصيح في أسلوبه ، يصدر فيه مؤلفه عن فهم فقهي دقيق تدعمه شواهد الآيات القرآنية،والأحاديث النبوية، مع تدقيق في صحّتها وبيان مراجعها »[2]

ومن هذه الانطباعات الجميلة ؛ تقريظ الشيخ السعدي لأحد مؤلّفاته :

«من أحسن ما تصوغ بـه القريحـة جواهرهـا المنظمـة المليحـة
كتـاب العـالم الحـبر المحـامي عن الإسـلام بالسـنن الصـحيحة
نتيجـة فكـر آدم وهـو مسـمى نتيجة فكره الـدين النصـيحة»[3].

ولا يتسع المجال في حصر من أثنى عليه من تلامذة ، وأتباع ، وسائر المعجبين به من مواطنين وغيرهم ، خصوصا شعراءهم وخطباءهم ومترسليهم.

وفي أواخر عمره تعرّض لمرض طويل نتيجة متاعب العمل ، ثم توفي على أثره عام ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م ، ودفن في روضة المركز بجوار أبويه ، أسكنهم الله جميعا فسيح رضوانه .

* * *

---

(1) شيخ الأزهر ، الدكتور عبد الرحمن بيصار ، الإسلام في نيجيريا ، ص : ١٠.
(2) الشيخ محمد المبارك ، المرجع السابق ، ص : ١٨.
(3) الشيخ أحمد فال السعدي ، الدين النصحية ، ص : ١.